

مهمّات مثقّفين جُدّد؟

الدكتور محسن جها سم الموالي

يزال . . . والمثقف العربي يتساءل ثانية: ما الذي جرى، وما الذي يجري؟ أين نحن من أين . . . والى أين . . .؟ ولكي لانقاد الى (إجباطات) هي بحدّ ذاتها المخارج السهلة من أزمة العذاب والمسؤولية، لا بد لنا أن نكثر من التساؤل ونلج فيه، ولا بدّ لنا أن نبحث عما في الثقافة من محن، وعما في المؤسسات من مشكلات، وعما فينا من مأس حان لها ان تظهر على السطح، قبل ان يصبح (الفعل) الفردي بديلاً للثقافة العربية، والجهود العربية، وكل ما هو جمعي .

واعترافاً من التحليل لما سيجري، حيث ان الفرد العربي برغم سهولة ما يصله من (أموال النفط) تارة ومن تسهيلات واغراءات تارة أخرى، لا بد ان يمر في مواجهات حاسمة مع نفسه الآن وغداً، ولا بد أن تتمخض تساؤلاته عن افعال، قابلة لتمزيق البراقع، وأستار الاكاذيب والمحافظه الرثة المزدوجة، أو الثوروية العادية والباثسة إزاء حقيقة ما جرى ويجري!

فهل أن المخططات أكبر من أمة؟ ان المخططات الخارجية كبيرة، ومسعاها لإيجاد جروح لا تندمل بسرعة في ميادين عرقية وطائفية معروفة: ولكن ما الذي فعلته الثقافة العربية للحيلولة دون ذلك؟ وما الذي فعلته المؤسسات والهيئات . . .؟ لم يحصل أن اقتنعت قوة كبيرة بحجم الأمة العربية وبطاقاتها بأن (المشروع) الخارجي مهياً له أن يكون فعالاً بهذه الصورة ومخرباً بهذه الحال، ومدمراً بهذا الهول . . . الا اذا كان فينا ضعف تنسّر عليه، أو إهمال نداريه، أو حتى . . . لكن كلمة (الخيانة) سرعان ما يفقدونها معناها بحكم استسهالها الدائم والمستمر، والتقاذف المتكرر بها، حتى انها لم تعد تعني ما يراد لها أن تعني: فهي الضعف والإهمال وموالاته الغير، وجرح الأخ والصديق وفقدان المسؤولية . . . فهي خيانة الذات والضمير، قبل أن تكون خيانة الشعارات، أو موالاته الاعداء .

لعل التلكؤ الذي يحسه المرء في التعامل مع موضوع بهذه السعة والإشكالية والعمومية أمر مشروع: لا سيما وأن الاحاديث المماثلة في واقع الثقافة العربية ومهامها كثيراً ما انحدر الى مستوى السفسطة والثرثرة المكرورة، إن لم تنتشله صيحات غضب، تحولت هي الأخرى بحكم صدقها الحادّ وعاطفتها المفرطة الى (أصوات) متمردة أو محبطة فاقدة للتأثير أمام سبيل عارم لـ (ثقافة الوضع القائم)، تلك الثقافة التي يراد لها ان تصبح سمة (الركون) أو مرتكزاته الأساسية، والتي تحتضنها مختلف المؤسسات، لكي تكون ذيولاً لما هو قائم، غير متسائلة عنه، او باحثة فيه، أو مانحة إيا روح الثورة والتغيير والتجديد والتأمل . فهل أن ما جرى ويجري في الساحة العربية مسبب لمناخات جديدة؟ أم أنه هرش في أرض خاملة أو بور؟ لقد كانت صور المذابح والتنكيل مثيرة لاستفزاز الضمير العالمي، على بعده، لدرجة أن (الاعلام) الصهيوني تخرج كثيراً في تعامله مع العالم بابتداع تنويعات جديدة في طريقته القديمة في تقسيط المعلومات وتجزئتها، وتحويلها الى اشارات، الى شخوص، لا الى ايدولوجية، أو نظام، أو دولة، حتى صدّق (بعض) الناس في النهاية أن (بعض) ما جرى كان مسؤولاً عنه (بعض) اشخاص، لهم اسماء وملامح وتواريخ!! ولم يعر (الاعلام) الصهيوني (الاعلام) العربي (الذي يفترض فيه أن يكون خصمه) اهتماماً: حيث أن التجربة القديمة للصهيونية تعتمد على أن (الهبة) في الاعلام العربي هي (سريعة) و(آنية) وغير قابلة للإدامة أو التطوير!!

ولسوء الحظ فإن محنة الامة وتشتتها قادا ثانية ليس الى الاكتفاء بالآني والسريع وغير الدائم، بل الى إهمال مفرط ومضحك ومبكٍ لكل ما جرى ويجري، ورغم أن ما جرى ويجري يستفز الناس، اينما وجدوا، إذا ما كانوا مجرد بشر . . . لهم عواطفهم وشجونهم وأحاسيسهم . لقد كان الأمل ممضاً، وما

وتكوين مواصفاته، تلك الأذهان التي تحكم التفاهة
الافعوي بحكم معرفتها للأوكار التي لا يرتادها المقابل .
ولأن الأمر كذلك، لا بد للثقافة العربية من أن لا تعيد
لبوسها القديم، في المناجاة والبكاء والتألم، بل أن تبحث في
نفسها، وفي غيرها، أن تواجه المحنة بجرأة الجراح الذي لا
يمنعه كرهه للدماء من أن يمسك بالمبضع، ما دام فيه ما ينقذ
الحياة ويوجد الأمل . . . وتخرج عام كهذا يمكن أن يُجرأ في
تطبيقاته في مجالات الابداع والنقد والاعلام والمعارف
والعلوم المختلفة .

وعندما نبصر أنفسنا، وغاياتنا وآمالنا . . . نقدر أن
نبصر غيرنا بثقة أكبر، وبحرص أكبر، وبمسؤولية أكثر
صدقاً .

عند ذلك يكون الدم الجديد حيواً، متدفقاً في عروق
قديمة وجديدة، متصلة بحيوية الصراحة والصدق، تكون
اتجاهات . . . هي ما نطمح أن نسميه بثقافة عربية جديدة . . .
بغداد

واذ أريد لنا أن ندلو بدلونا في هذا الأمر لا بد من
بعض (الاجتهادات) النفعية في مجال هذه المشقة والصعوبة
والمسؤولية . وقد لا يكون هناك كثير من خير في تذكر ما آل
اليه مركز الأبحاث الفلسطينية وأرشيف مجلة شؤون
فلسطينية . . . فالمركز الذي يحتوي معلومات عن فلسطين
والصهيونية لا يحتويه مركز عربي آخر يمثل خطراً للارث
الصهيوني أكثر من ملايين البنادق والتجمعات المسلحة .
لأنه يتوجه الى الذهن الصهيوني، أي الى الذهن الذي يقع
كماً ونوعاً خلف (المشاريع) و (المخططات) التي تجد أدواتها
التنفيذية في (الحكومة) الصهيونية، والاحزاب الصهيونية
والقوى المتحالفة معها، وقواتها المسلحة . . . الخ . وفي
تقديري أن البدء في تأسيس المهمات الثقافية يمكن أن ينطلق
من التساؤل في أهمية هذا الفعل؟

إن الثقافة المخيفة هي الباحثة، المنقبة بروح علمية،
وبصدق وحرص كبيرين في (الأذهان) المعادية، أي في
الأذهان التي قدرت على مر العصور على تحريك (الحدث)

دكتور سارخضباك

ليس بطوطه ومرحله

صدر حديثاً

دار الآداب